مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد4 العدد 2، 2007، ص ص 253- 281

جذور الأباضية في بلاد المغرب

عدنان عياش*

ملخص

ارتبط ظهور الخوارج في بلاد المغرب بالتطور السياسي الذي حدث لهم في المشرق الاسلامي في أواخر القرن الاول الهجري، فبعد فشل ثوراتهم في قلب العالم الاسلامي إتبعوا أسلوب الدعوة والتنظيم السياسي في الامصار الاسلامية القاصية ووجد الخوارج في بلاد المغرب ميداناً خصباً لنشر مذهبهم، وفي الحقيقة أن الخوارج وخاصة الاباضية منها قد قفزت الى بلاد المغرب في اعقاب الفتح الاسلامي لبلاد المغرب رغبة منهم في الحصول على ميدان جديد ينشرون فيه تعاليمهم المناهضة لنظام الحكم الاموي والعباسي من بعده وتتقدم الاباضية بين البربر وتلقى نجاحاً كبيراً بينهم وذلك بسبب سوء معاملة بعض الولاة الامويين والعباسيين من بعدهم للبربر خاصة في بلاد المغرب . وعلى هذا الاساس يمكن القول بان جمهور الخوارج الاباضية هي المقدمات الحقيقية للبناء السياسي لبلاد المغرب لان هؤلاء الاباضية في سنة 160هـ/777م تمكنوا من الانتقال من مرحلة الدعوة الى مذهبهم الى مرحلة التطبيق العملي لمبادئهم .

عرض وتحليل لبعض مصادر البحث:

باعتقادي أن أهم المصادر التي استقيت منها معلومات هذا البحث هو كتاب فتوح مصر والمغرب والأندلس للمؤلف ابن عبد الحكم وهو مؤرخ مصري ألف أساسا في المغازي كتابه هذا حافلا بفيض من المعلومات عن اباضية المغرب وهو من خيرة مؤرخي الإسلام دقة وموضوعية ومن أنضجهم أسلوبا ومنهجا توفي بالفسطاط سنة 257هـ/871م وبما انه مصري ومصركما نعلم كانت قاعدة الفتوح لبلاد المغرب وهو ينتمي لعائلة لها سهم وافر في العلم وشاركت في أمور السياسة مما يعني أن ابن عبد الحكم كان في موقف اجتماعي يسمح له بالإطلاع على ديوان الفسطاط الذي زخر بمعلومات كافية عن بلاد المغرب وإفريقيا وحسبنا ما أورده من معلومات حول ثورات الاباضية .

أما إبراهيم بن القاسم أبو اسحقالذي يعرف بالرقيق النديم ت417هـ/1063مفقد كان قد تولى ديوان الرسائل في البلاط الصنهاجي عنوان كتابه تاريخ إفريقيا والمغرب حققه الأستاذ المنجي ألكعبي التونسي له شهادة من ابن الأثير في تقبيم كتاباته خاصة عندما ينقل أخباره

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2007.

* قسم التاريخ، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين.

المغربية فيرجحها على غيرها قائلا(ورب البيت أدرى بما فيه)وبالرغم أن الرقيق كان سني المذهب لكن اتجاهاته المذهبية لم تعكس على كتاباته ولقد نقل عنه معظم من أرخ لبلاد المغرب الإسلامي.

ابن عذارى المراكشي صاحب كتاب البيان المغرب في أخبار المغرب ألفه سنة712هـ/1318م وهذا الكتاب يعتبر أهم مرجعا لتاريخ المغرب الإسلامي ، الجزء الأول من هذا الكتاب يتناول تاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى دخول الهلالية إلى المغرب في منتصف القرن الخامس الهجري ومما يزيد في قيمة هذا الكتاب روايات قدامى المؤرخين المغاربة والملاحظ أن ابن عذارى قد أفاض في حديثه عن ثورات الاباضية والصفرية ،

ابن الأثير(ت630هـ/1232م)صاحب كتاب الكامل في التاريخ الذي أكمل النقص في كتاب الطبري وسد الثغرات فيه، رجع إلى أهل الثقة من المغاربة كان يذكر دائما بأنه يأخذ التصانيف من أهلها خاصة من بلاد المغرب والأندلس وكان كثيرا ما يندهش من كتابات الطبري في هذا المجال.والحقيقة أن ابن الأثير مؤرخ ومحقق موهوب وكتابه الكامل يعد مرجعا هاما لمن يريد التعرف على تاريخ القرون القديمة الإسلامية، لقد أثبتت الدراسات صحة معلومات ابن الأثير عن المغرب الأقصى

ابن خلدون (ت808هـ/1406م)لقد كان سواء في المقدمة أو كتاب العبر يبدو لنا انه كان مهتما ببلاد المغرب أكثر من اهتمامه ببلاد المشرق ومؤلفاته ضرورية لكل دارس س بها عن القبائل وأنسابها ومذاهبها ومقالات أفادت الدارس كثيرا عن انتشار جميع المذاهب في بلاد المغرب لكنه كثيرا ما كان يخلط بين الدعاة الاباضية والصفرية.

أما الشماخي في كتابه السير فهو يذكر أن مؤرخا اباضيا مغربيا شهيرا يدعى ابن سلام عاش حوالي منتصف القرن الثالث الهجري وصنف كتابا في السير وقد اعتمد عليه الشماخي فيما يتعلق بثورات الاباضية وطبقات مشايخ المذهب حتى عصر ابن سلام.

توفي الشماخي سنة928هـ/1523موهوينتمي إلى أسرة معروفة في جبل نفوسة من بني يفرن وهو يعتبر من المؤرخين للفترة المتأخرة من تاريخ الاباضية بالمغرب وكذلك تاريخ ثورات الخوارج الأولى إلى قيام الدولة الرستمية في تاهرت، ميزة الشماخي انه فقيه عالم بأصول المذهب وفلسفته وتاريخ ظهوره في المغرب .

الباروني صاحب كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية وهو يحتوي على مقدمة جغرافية عن مدينة تاهرت وأقوال العلماء فيها ويتناول ذكر ائمة دولة بني رستم وهو يجمع مادته

من كتب التاريخ والتراجم عن ابن الصغير والشماخي واهم ما يميز كتابه هو الرسائل المتبادلة بين علماء المذهب الاباضي في بلاد المغرب وإخوانهم في بلاد المشرق.

علي بن يحيى معمر صاحب كتاب الاباضية في موكب التاريخ وكذلك نشأة المذهب الاباضي مؤرخ وكاتب معاصر اباضي المذهب وكتاباته من نوع التراجم القديمة جمع معلوماته من الشماخي والباروني .

أبو زكريا يحيى بن ابي بكر صاحب كتاب السيرة وأخبار ألائمة(ت النصف الثاني من القرن الرابع الهجري)من أهل وارجلان ولا نعلم شيئا عن نشأته ولكنه اعتمد في تاريخه لثورات الاباضية والرستميين الأوائل على مؤرخ يدعى ابي الربيع سليمان بن يخلف ، أرخ أساسا للدولة الرستمية وفيها يظهر إلى مدى كبير فضل الفرس على الإسلام حتى انه انتحل كثيرا من الأحاديث والمأثورات عن الصحابة تمجيدا لنسب أئمة بني رستم .

ابن الصغير(ت294هـ/907م) مالكي سني صاحب كتاب سيرة ألائمة الرستميين من أهل تاهرت دون كتابه حوالي سنة 290هـ/903م في أواخر أيام الرستميين ، معاصر للأحداث ومنصف في كتابة التاريخ لها غير متحيز لائمتها بصفته سنيا وهذا ما يقوله بنفسه بأنه لم يحرف ولن يزيد ولن ينقص، الظاهر أن ابن الصغير كان موضوعيا في تاريخه.

ابن خليفة الخياط(ت240هـ/854م) توفي قبل الطبري بحوالي نصف قرن ولد في الصرة رواياته مختصرة جدا إذا ما قسناها بما كتبه الطبري نشر كتبه في التاريخ سهيل زكا ر في دمشق سنة1967م كما نشر له كتاب الطبقات.

الدرجيني (ت النصف الثاني من القرن السابع الهجري) صاحب كتاب طبقات الاباضية يعرض فيه تراجم لمشايخ المذهب الاباضي جيلا بعد جيل في المشرق والمغرب على السواء وفيما يتعلق بالمشارقة فقد اعتمد على ما كتبه أبي العباس المبرد وعن أخبار المغاربة فقد نقل عن أبي زكريا، يذكر أن الكثير من كتب الاباضية وخاصة مكتبة ألائمة الرستميين المعروفة (المعصومة)احرقها أبو عبد الله الشيعي سنة297هـ/910م وكذلك أن الكثير من هذه الكتب أبيدت أو أحرقت نظرا لما تعرض له اباضية المشرق والمغرب.

ألبرادي، أبو القاسم بن إبراهيم (ت697هـ/1291م)صاحب كتاب الجواهر المنتقاة،عالج فيه كثيرا من الموضوعان وعرف لعديد من عيون المذهب الاباضي ممن أغفلهم الدرجيني كما حلل وناقش كثيرا من روايات سابقيه بطريقة نقدية من مؤرخي الاباضية وغير الاباضية على السواء.

السيابي:سالم بن حمود بن شامس بن سليم بن خميس السيابي السمائلي ولد في عمان في آخر العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجري سنة 1326هـ/1906م، بدأ الشيخ حياته العامة

مدرسا للنحو في بلدة بوشر /مسقط ثم ما لبث أن ولي القضاء بها بعد وفاة قاضيها،ثم قاضيا للمحكمة الشرعية في مسقط،له إنتاج وفير غزير في النحو والصرف والآداب والفقه وأحكام الشريعة الإسلامية،له مؤلفات كثيرة في الذهب الاباضي ومنها (اصدق الناهج في تمييز الاباضية من الخوارج) التي ركز فيها على بيان جوهر المذهب الاباضي ورجال المذهب وأعلام الدين وعدم صلة الاباضية بالخوارج ثم كتاب(إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء) وهو يحتوي على تراجم الإمام جابر بن زيد وتلاميذه من حملة العلم إلى عمان وحضرموت وشمال إفريقيا ثم الحديث عن سيرة عبد الله بن أباض.

المقدمة:

تأثر تاريخ المشرق الإسلامي وغربه حتى منتصف القرن الرابع الهجري بحركات الخوارج تأثراً كبيراً.

يعتبر المذهب الإباضي من أقدم المذاهب الإسلامية فهو ينتمي كما ينتمي غيره من المذاهب الإسلامية إلى رسول الإسلام. إن نشأة الفكر الإباضي، يعود بالدرجة الأولى إلى العامل الديني والسياسي الذي تمثل في مبايعة عبد الله بن وهب الراسبي من طرف بعض الصحابة والتابعين اللذين أنكروا التحكيم على علي بن أبي طالب وفيهم من أهل بدر ومن شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة كحرقوص بن زهير السعدي وفروة بن نوفل وسارية بن لجام السعدي، وكانت هذه النشأة في شوال 37هـ/656م،وقد رفع أصحاب عبدا لله بن وهب الراسبي الشعار التالي : قبلت الدنية ولا حكم إلا لله، وهكذا نرى أن الذين مع علي في صفين متوادعين فروا عليه وعرفوا لذلك بالخوارج أو الشُراة عند المؤرخين عامة لكن الشيء الوحيد الذي يربط الإباضية بالخوارج هو رفضهم المشترك للتحكيم .

ظهر المذهب الإباضي في القرن الأول الهجري في البصرة، فهو أقدم المذاهب الإسلامية على الإطلاق والتسمية كما هو مشهور عند المذهب،جاءت من طرف الأمويين ونسبوه إلى عبد الله بن أباض وهو تابعي عاصر معاوية وتوفي في أواخر أيام عبد المالك بن مروان،وعلة التسمية تعود إلى المواقف الكلامية والجدالية والسياسية التي اشتهر بها عبدا لله بن أباض في تلك الفترة

تمتد الصلات بين عمان وبلاد المغرب في جذورها إلى فرقة الاباضية إحدى فرق الخوارج التي انفصلت عن الخلافة الإسلامية في عهد (علي بن ابي طالب).

تعريف الأباضية :

الاباضية هي تلك الفرقة المعتدلة من الخوارج ظهرت في أواخر الدولة الأموية،وهي تؤمن بالقران والحديث مصدراً للتشريع مع القول بالرأي و بالقياس، واعتبرت ابا بكر وعمر القدوة بعد الرسول ولكنها تشترط القرشية في الخلافة .

والاباضية تنسب الى عبد الله بن اباض الذي يرجع له الفضل في انه استطاع ان يدافع عن آراء جماعته علناً وان يدحض القول بانهم من الخوارج او من متطرفي الخوارج .

يقول الشهرستاني(أبو الفتح، محمد بن عبد الكريم) في كتابه الملل والنحل إن للاباضة أربعة أصول كباراً وهي الصفات الإلهية ثم القدر، ثم السمع والعقل والرسالة والأمانة[1]

لقد كانت قضية الخلافة من القضايا الهامة التي يقدرها الإسلام قدرها وكانت شاغلة لأهل العلم وكان جابر بن زيد الازدي (الذي ولد عام 22هـ/640م وهو بذلك يعد أقدم أئمة المذاهب أجمعين فقد ولد أصحاب المذاهب الأربعة"الحنفية -الشافعية -المالكية-الحنبلية" بعد مولده رضي الله عنهم والبعض بعد وفاته وهو إمام متحدث فقيه متبحر في الفقه،أمضى بقية حياته متنقلاً بين البصرة والمدينة)ممن مرت عليه دراستها اذ درسها درساً مستفيضاً وانتهى به فيها إلى راي ثابت صحيح مبنى على روح العدالة في الإسلام ومستمد من القران الكريم وسيرة السلف الصالح من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، اذ كان يرى الخلافة من أهم مرافق الدولة وأعظم مظاهر الأمة وأقوى سلطة تشرف على تنفيذ أوامر الله وتطبيق أحكام الكتاب والسنة، ولذلك فهي لا يمكن أن تخضع لنظام ورأي ابداً، ولا ان ترتبط بجنس او قبيلة او اسرة ما أو لون(2) لان الخلافة المقصود منها بالذات وضع الحق بمواضعه، وإعادة العملبأوامر الشريعة حيث أمر بها الشرع، وانما يشترط فيها الكفاءة المطلقة لان الله عز وجل أشار إلى المقصود فيها بالذات بقوله "ان أكرمكم عند الله اتقاكم " والمطلوب الكرم بجميع معانيه والتقوى وهي الأصل التي لا تصح بدونه خلافة ما أبداً، والقرشية لم تغن وحدها وربما أغنى عنها التقوى، ولا يخفي على كل ذي عقل أن التقوى روح الإيمان، فإذا لم تكن تقوى فلا ايمان اجماعاً، وإذا حصلت الكفاءة المطلقة ديناً وخلقاً وعقلاً فقد حصلت الخصال المطلوبة فيها المشتركة لصحتها، فإذا كانت في فريق من الناس فقد حصلت لان تحمل عبء الامة تفوق بما يجب في الاسلام القيام به، وما القرشية او الهاشمية او العربية الا من وسائل الترجيح وهي كمالية فقط عندنا، فان المفاضلة او الاولوية اشياء اختيارية عند حصول الكمال، اما ما سواه فلا حساب له في نظر الشارع الذي جاء لدرء المفاسد وجلب المصالح في الأمة [3] .

نشأة المذهب الإباضي

لما وقعت معركة صفين بين الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ بادر جذور الإباضية الأولون إلى مناصرة الإمام علي ـ رضى الله عنه ـ في حرب صفّين ضد معاوية بن أبي سفيان ـ رضى الله عنه ـ و سقط في الميدان إلى جانبه عدد من كبار الصحابة المشهود لهم بالجنة كعمار بن ياسر ـ رضى الله عنه ـ، و بادروا إلى التصريح في وجه حملة المصاحف بقولهم : و به قاتلناكم، و إنها خدعة كما تفطن لها الإمام علي نفسه لولا أن رجع إليها أخيرا . و بادروا إلى نصحه في دسيسة التحكيم و ألحوا عليه لرفض قبوله، و لما أصر على قبول التحكيم و أراد تعيين أبي موسى الأشعري قالوا بأنه مغفل لا يليق و طلبوا بإلحاح تعيين ابن عباس حكما في جنبه مقابل عمرو بن العاص الكفؤ الداهية حكم معاوية، و لكنه رضخ إلى رأيه ولم يقبل ابن عباس حكما لدعوى أنه من المواليين على قتل عثمان بن عفان و أصر على تعيين أبي موسى الأشعري الذي لا يوازي عمرا في الدهاء و المكر و الكيد، و تأثر بعرض المصاحف على الرماح و إن كان هو يراه أول الأمر خدعة لكنه قبل بالتحكيم

و بعدها رأى أصحابه أنهم في حل من بيعته لخلعه نفسه بقبول التحكيم و بقائهم بلا إمام بعد كل هذا رأو أنه لابد من إمام يخلفه في أمورهم فعرضوها على كبارهم واحدا واحدا فأبوها إلا الإمام عبد الله بن وهب الرّاسبي الأزدي، قبلها قائلا : ما أخذتها رغبة في الدنيا و لا أردها فرقا من الموت . فانحازوا عندئذ إلى النهروان و بعد أن هم الإمام علي بالذهاب إلى الشام لقتال معاوية بن أبي سفيان صرفه الأشعث بن قيس إلى النهروان آمرا إياه بقتال الوهبية هناك . فصرف جنده إلى النهروان لنصيحة الأشعث بن قيس ظاهرا، و لكن لسر في نفسه لأنه يرى أن الإمام عبد الله الراسبي أزديا غير قرشي، و هو يرى كمعاوية أن الإمامة في قريش، فإذا انتقلت ذهبت عنهم إلى الأبد، فقام بحملته على النهروان قبل أن يتقوى أمرهم،لكه ندم على ذلك أشد الندم حتى قال لمولاّه فنبر لما سأله عن سبب بكائه الطويل: ويحك، صرعنا خيار هذه الأمة و قراءها. - بعد ذلك، هرب من بقي منهم إلى البصرة و اتخذوها مقرا لهم، حتى ظهرت فئة منهم، يكفرون مرتكب الكبيرة و يستحلون دماء أهل التوحيد .....، سمّوا بالخوارج، فقال الإمام الربيع بن حبيب لأتباعه : دعوهم حتى يتجاوزوا القول إلى الفعل، فلما تجاوزا ذلك إلى الفعل، طاردوهم الإباضية، و تبرأوا منهم، و أظهروا عداوتهم الشديدة لهم، لكن الكثير من المؤرخين تحدثوا بضم الإباضية إلى الخوارج.

نظرة الأباضية للخوارج:

واما عن موضوع نظرة الاباضية للخوارج فالدارس للمصادر والمراجع الاباضية يرى الاباضيين ينكرون نسبتهم للخوارج كما يتبرأون من الفرق الغالية، فالخوارج في نظر كل من المؤرخين وكتاب الفرق والعقائد والفلاسفة والادباء هم الذين خرجوا على (علي بن ابي طالب) حين قبل التحكيم بينه وبين (معاوية ابن ابي سفيان)، واما اباضية عمان وزنجبار وشرق افريقية

وشمال افريقية في جبل نفوسه(في ليبيا) وجزيرة حربة (في تونس)، ووادي ميزاب(في الجزائر) وفي غير ذلك من الأماكن فيتبرأون من نسبتهم إلى الخوارج، والخوارج في نظرهم معناها الخروج على الإسلام، اذ نرى ان فقهاء ومؤرخي الاباضية قديماً وحديثاً يؤكدون ان مذهبهم هو الإسلام القائم على القران الكريم وعلى الاحاديث النبوية والسنة المشرفة، وقد اختار الاباضية طوال تاريخهم طريق الاعتدال وجعلوا هدفهم الرئيسي اقامة تعاليم الدين الاسلامي علماً وعملاً[4] ولم يكن للاباضية هدف لتكوين حزب او إنشاء مذهب خاصفمذهبهم الإسلام ودينهم الإسلام، أسس الحكم عند الاباضية هي الكتاب والسنة والاجماع، ثم القياس ثم الاستدلال [5] إذن فالخوارج في حكم الاباضية مشركون ذلك ان الذنوب عندهم قسمان صغير وكبير، فالصغير معفو باجتناب الكبير، والكبير أيضا قسمان كبائر شرك وكبائر نفاق، فكبائر الشرك هي كل ما دخل بالاعتقاد كاستحلال ما حرم الله او العكس، او انكار ما علم من الدين بالضرورة،او انكار حكم الله عز وجل كإنكار الرجم وقد ثبت باجماع الأمة في مثيلاتها . وكبائر النفاق هي كبائر الكفر بنعم الله عز وجل وهي عديدة، وعليه فالخوارج معروفون بهذا المذهب مشركون وشركهم ظاهرة مما يراه المسلم، ولقد تأول الخوارج قوله تعالى :" وان أطعتموهم إنكم لمشركون " أي ان أطعتموهم في أكل الميتة، هكذا تاويل الآية وهو تاويل فاسد الاعتبار، ظاهر الفساد، لا غيم على فساده وبه ضلوا، وكان صحيح معنى الآية ان أطعتموهم في استحلال الميتة وهذا شرك قطعاً [6]

لكن ما هو الإيمان عند الاباضية ؟؟

الإيمان هو قول وعمل واعتقاد عند الاباضية وبالقول تعصم الدماء والأموال، وبالعمل يصح الايمان العملي وبالاعتقاد يتحقق الايمان الصادق وهو الذي يقول فيه الاباضية بأنه يزيد ولا ينقص بل اذا اتهم بنقصة انهدم كله للأدلة الصحيحة التي يرتاب فيها احد، اما الايمان العملي هو الذي يزيد وينقص، فالاباضية موافقون على ريادته ونقصانه (الإيمان يزيد وينقص ،يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي)، وقول لا اله الا الله محمد رسول الله إلى آخر عروة الايمان وابتناء الاسلام على قواعده الخمس صحيح عند الاباضية، والولاء والبراءة بالمعنى المعروف لم يثبت الاّ عند الاباضية وهو محور الإيمان تقوم دعائمه واعتقاد وتصديق النبيين والمرسلين عند الاباضية فيما بقي وما نسخ وثبوت الحشر والنشر والجزاء على ذلك صحيح ايضاً لا مرية فيه وليس لأحد ان يقول فيه برأيه، وبالإيمان بالله وأعماله وأوامره وصفاته كذلك، ومن أخل بشيء من صفات الله عز وجل الواجبة له والجائزة عليه والمستحيلة في حقه فهذا لا ينفعه عمله مهما كان .

وعلى هذا فالاحكام عند الاباضية تجرى على قانون الكتاب والسنة والإجماع و القياسوالاستدلال والاستحسان والاستصحاب(المصالح المرسلة)، ويتساوى فيها الرئيس والمرؤوس والدني والشريف والعجمي والعربي والقريب والبعيد والبغيض والحبيب هذا كان من

الحقوق الإنسانية مطلقاً، والبينة على من ادعى واليمين على من انكر، ولا يحكمون بيمين وشاهد ولا يقبلون في الشهادة غير العدل المرضي البر التقي الذي لا يرتابون في عدالته ولا يشكون في ثقته، ولا يتحرصون من قبله في شئ ما تبعاً للقران اذ يقول " فمن ترضون من الشهداء " بعدما قال " ذوي عدل منكم " [7] .

وعن ظهور هذه الحركة ونشأتها في كل من عمان وبلاد المغرب فان الدراسات التي وصلت إلينا تُظهر لنا بان الدعوة الاباضية قطعت شوطاً بعيداً في التنظيم السريّ وذلك بتخريج الدعاة، واستقطاب المؤيدين، حين تولى أمر الدعوة في البصرة (ابو عبيدة مسلم بن أبي كريمة) بعد وفاة (جابر بن زيد)93 هـ/710م (أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة: كان زنجيا اسود اللون اعور فقير اشتهر بالقفاف لأنه كان يشتغل بصنع القفاف، ولكنه كان سيد البيض بعلمه وعقله وفقهه ، أصبح مرجع الاباضية دون خلاف بعد جابر بن زيد) وبذلك فان الدعوة الاباضية صارت تقترب من تحقيق أهدافها بإعلان إمامة الظهور.

انتشار الاباضية في عمان والمغرب:-

كان لاعتدال مبادئ الدعوة نفسها، ورفضها آراء الخوارج والازارقة والنجدات والصفرية ما جعل الدعوة مستساغة لدى الوسط الإسلامي في عمان وهناك عامل يتصل بالسياسة العادلة والبعيدة عن التعسف التي طبقها الخليفة (عمر بن عبد العزيز) فقد وقف واليه على عمان (عبد العزيز الأنصاري) موقفاً مسالماً من الدعوة الاباضية وبعد ذلك فان هذا الوالي قد تنازل عن ولاية عمان إلى (زياد بن المهلب بن ابي صفرة)، الذي حكم عمان حتى سقوط الدولة الأموية . حيث ترك هذا الوالي الدعوة الاباضية طليقة في نشر أفكارها، لأنه بالأصل ازدي من عمان .

ويجب أن لا يغيب عن الأذهان عامل هام وهو اعتناق آل الجلندي لمبادئ الاباضية قبيل قيام الدولة العباسية، مما اتاح للدعوة أن تنتشر في معظم أنحاء عمان،وحتى بعد قيام الدولة العباسية فان مما ساعد على سرعة انتشار الدعوة تعيين السفاح لجناح بن عبادة بن قيس الهنائي الذي اعان الاباضية وكان أن عين المنصور أيضا محمد بن جناح بن عبادة والياً على عمان الذي مال بدوره إلى الاباضية أيضا، ومهد السبيل لإقامة الإمامة في عمان عام 134 هجرية/754م .

وهكذا فان المتتبع لمجرى الأحداث في عمان يستطيع أن يستنتج أن الإمامة الاباضية استطاعت في مرحلة النشأة في البصرة أن تتغلغل في عمان، وقد نجحت هناك إلى حد كبير في أن تكون محور الاستقطاب لأهل عمان لتعبر عن تراثهم العميق وشخصيتهم المتميزة وميلهم للاستقلال، رغم أن سلكتها لم تشمل كل عمان وقد تبلور ذلك في إعلان الإمامة الاباضية الأولى في عمان، إلا أن الدولة العباسية لم تسمح لها أن تلتقط أنفاسها، فجردت لها قوة عسكرية

أسقطت الإمامة الأولى، غير أن حملة العلم ودعاة الاباضية ظلّوا يمارسون نشاطهم في المناطق الداخلية من عمان وظلّ هؤلاء (أهل عمان) أوفياء للدعوة الاباضية، وقد اثمر هذا الجهد المتبادل عن إعلان الإمامة الاباضية الثانية بالانتصار على جيوش الدولة العباسية عام 177 هـ/797م بعد مرور أربعين سنة على الإمامة الأولى، وفي ذروة العصر العباسي الأول الذي يمثله (هارون الرشيد) .

وهنا تجدر بنا الإشارة الى أن عمان قد أصبحت وبحقالموطن الأصلي للاباضية في العالم الإسلامي .

أما عن انتشار أصحاب هذا المذهب خارج عمان فقد كان بعد تطبيق نظام الشورى في اختيار الخلفاء وبعدهم عن العدل والمساواة بين المسلمين وانحرافهم عن الاشتراكية الإسلامية التي نادى بها الإسلام وهي التي تقوم على مبدأ التزام العدل وإنفاق مال الدولة في مصالح المسلمين، حيث أصبحت هذه الأموال تنفق على الشهوات والملذات وعلى الأولياء والأنصاروالمؤيدين، كل تلك الأسباب أدت إلى قيام جماعات قدمت من العراق وبلاد المشرق الإسلامي خاصة عمان نادت بالالتزام بتطبيق مبادئ الإسلام القائمة على المساواة والعدل حيث ارتبط رجالات وفقهاء الاباضية الى بلاد المغرب بعدة عوامل :-

1- التطور السياسي الذي حدث للخوارج بشكل عام في المشرق الإسلامي في أواخر القرن الأول الهجري بعد فشل ثوراتهم واضطرارهم الى أسلوب الدعوة والتنظيم السرّي واختيارهم أطراف العالم الإسلامي ميداناً لنشاطهم بعد أن تعرضوا للمطاردة والاضطهاد.

2- ملائمة الأحوال السياسية والاجتماعية في بلاد المغرب في أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري بتقبل هذا المذهب وانتشاره.

ولعل أول داعية اباضي وصل الى بلاد المغرب كان (**سلمة بن سعيد الحضرمي**) الذي يعتقد الكثير من المؤرخين أن أصله من البربر من بلاد المغرب وكان مولى لحصين العنبري الذي وهبه عبد الله بن العباس حين ولي ابن العباس البصرة لعلي بن ابي طالب، واجتهد عبد الله بن العباس في تعليم سلمة الحضرمي القران والسنة وحينما توفي عبد الله بن العباس سنة 68 هـ/685م كان سلمة على الرق، ثم اعتقه علي بن عبد الله بن العبا.

وصل سلمة الى بلاد المغرب وحلّ في مدينة القيروان واخذ يتصل بزعماء البربر وانتشرت دعوته بشكل خاص في طنجة والمغرب والأقصى، حيث بدأ البربر ثورتهم بزعامة ميسرة ضد الأمويين سنة 122هـ/738م، وكان سلمة متحمساً كل التحمس في سبيل الأخذ بأيدي البربر لإنشاء الإمامة الصحيحة، حيث وافق تحمس الدعاة وشجاعتهم في بلاد المغرب ما لمسه أهل

هذه البلاد من ظلم ولاة الأمويين واستبدادهم وانحرافهم عن الدين فاقبلوا على دعاة الاباضية في حماس بالغ وسرعان ما انتشر المذهب الاباضي انتشاراً واسعاً امتد من غربي مصر في ليبيا وطرابلس وجبل نفوسه وجزيرة جربة في تونس وفي اغلب المغرب الأوسط من شرقي مدينة مليانة الى غربي وهان وخاصة في وادي ميزاب في جنوب الجزائر، ولا شك أن هؤلاء الدعاة المتحمسين من البربر أصروا على الرحيل الى البصرة للاتصال بعلماء الاباضية والتعمق في أحكام الدين الإسلامي وكان لجبل نفوسه فضل السبق الى ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة وزملائه . حيث وصل أبو عبد الله محمد بن مغيط الجناواني(الذي كان أول من جمع القران كله في جبل نفوسة وحفظه وهو أول تلميذ مغربي يسافر لطلب العلم الذي أصبح رئيساً للدعوة في جبل نفوسة المعقل الرئيسي في بلاد المغرب للاباضية بعد عودته من بلاد المشرق) .

لقد كانت رحلة ابن مغيط إلى المشرق سنة124هـ/740م فاتحة لرحلات المغاربة إلى المشرق الإسلامي للاستزادة من العلم ولربط العلم بالعمل، فقد شوقهم سلمة بن سعد الحضرمي إلى شد الرحال الى المشرق لتلقي علوم هذا المذهب على الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[8]المتواجد في البصرة، حيث كانت هذه المدينة مركزاً للدعوة الاباضية ومنها كان الدعاة الذين عرفوا (بحملة العلم) يتوجهون الى الأمصار بعد تلقيهم أصول الدعوة على ايدى فقهاء المذهب وشيوخه والمعروف أن أنصار المذهب بالبصرة كانوا يمارسون مهامهم الدراسية في السرية والكتمان، فكانت مجالسهم في سراديب تحت الأرض حتى قيل بأنه (كان يجلس أمام السرداب رجل يعمل القفاف وعلى فمه سلسلة يحركها إذا ما رأى شخصاً مقبلاً لينبه من بالداخل الى الالتزام بالصمت حتى يمر من يشتبه بأمره)[9]وكانوا يطلقون على هذه المجالس اسم (الحلقة) .(فرحل فريق من علماء المغرب البرابرة الى البصرة للأخذ على هذا الإمام) وكانوا أربعة هم : **عبد الرحمن بن رستم الفارسي، عاصم السدراتي، أبو داوود القبلي النغزاوي، إسماعيل بن ضرار القدامي** وانضم إليهم عند أبي عبيدة مسلم ثائر آخر **هو أبو الخطاب عبد الأعلى بن السميح المعافري اليمني وهؤلاء عرفوا (بحملة العلم الى البصرة) حيث** ظلوا في صحبة ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة خمس سنوات يتلقون العلم على يديه ويعدون العدة للظهور ويتعلمون أصول الحكم وفنونه [10] وكانوا قد وصلوا البصرة سنة 135هـ/752م وعادوا إلى المغرب(جبل نفوسة) في سنة 140 هـ/757م، على انه ومن الجدير بالذكر أن أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة لما أراد وداع الوفد المغربي (سأله إسماعيل بن ضرار ألخدامي عن ثلاثمائة مسألة من مسائل الأحكام، فقال له أبو عبيدة : أتريد أن تكون قاضياً يا ابن ضرار ؟ فقال (ارايت إذا ابتليت بذلك) [11]

أما داوود القبلي النغزاوي فكان من كبار الزهاد ومن ذوي العلم والعمل عاش الى زمان الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم(الإمام الثاني للدولة الرستمية في تاهرت) في آخر القرن الثاني الهجري وكان الإمام يحترمه ويجله، وروي عن ابي عبيدة انه قال له : (لا تفت بما سمعت وما لم تسمع، وقال لعبد الرحمن بن رستم افت بما سمعت وما لم تسمع وقال لأبي الخطاب (أفت بما سمعت) [12] وقيل بأنهم قد استشاروا أبا عبيدة (إن انسوا من أنفسهم قوة أيؤمرون عليهم واحداً منهم، قال نعم وأشار إلى أبي الخطاب فان أبى فاقتلوه) [13] وعلى هذا فإننا نستدل من ذلك أن الاباضية اهتموا بتثقيف عقول تلاميذهم من أهل المغرب والمشرق بالعلم الصحيح، والبعد عن العصبية والحسد، وان إشارة أبي عبيدة إلى أبي الخطاب اليمنى ليرأس دولة بربرية في المغرب وهو عربي قحطاني وليس مغربياً أو عربياً قرشياً، ثم استجابة المغاربة له ليدل دلالة واضحة على تمسك الاباضية بمبدأ المساواة الإسلامية وهذا رد واضح على ما ذكره توماس ارنولد في كتابه نشر الدعوة الى الإسلام حينما ذكر أن الإسلام لم يترسخ قدمه بين البربر [14]

كذلك لا يفوتنا في هذه السياق أن نذكر بان أبا عبيدة مسلم بن ابي كريمة أوصى حملة العلم الى المغرب بمداومة الاتصال به واستفتائه فيما يعن لهم من مسائل وإخباره بنشاطهم أولا بأول، وما أن عادوا إلى المغرب حتى اشتد ساعدهم وعقدوا العزم على إعلان إمامة الظهور سنة 140 هجري /757 ميلادي وتمت مبايعة أبي الخطاب بالإمامة وأعلن الدولة الاباضية في محرم سنة 140 هجري /757 ميلادي في موضع يعرف باسم صياد غربي طرابلس، وتمكن الاباضية بعد مبايعة ابي الخطاب من الاستيلاء على طرابلس واتخذوها مقراً لهم [15] ودانت لأبي الخطاب البلاد بالطاعة لما شاع عنه من الرفق بالرعية، والعدل بين الناس فعظم شانه فيهم وامتد سلطانه شرقاً إلى برقة وغرباً الى القيروان وجنوباً الى فزان [16] واختار أبو الخطاب عبد الرحمن بن رستم رفيقه في حملة العلم قاضياً بطرابلس [17] وقد وصلته أنباء الفظائع التي ترتكبها هذه القبيلة وإساءة رجالها الى الإسلام،إذ ربطوا دوابهم في المسجد الجامع وعاثوا عيثاً شديداً في مدينة القيروان وقد روى ابن الأثير (أن رجلاً من الاباضية دخل القيروان[18] لحاجة فرى ناساً من الورفجوميين قد اخذوا امرأة قهراً والناس ينظرون فأدخلوها الجامع، فترك الاباضي حاجته وقصد أبا الخطاب الأعلى بن السمح المعا فري، فاعلمه ذلك فخرج أبو الخطاب وهو يقول (بيتك اللهم بيتك)[19] .

خرج أبو الخطاب لتحرير القيروان من الصفرية، فاستولى في طريقه على قايس وترك عليها عاملاً من قبله، ثم توجه نحو القيروان ن من مكان اسمه الرقادة(بالقرب من القيروان في تونس) وهناك دارت معركة عنيفة أسفرت عن انهزام الصفرية وفرارهم أمام أبي الخطاب الذي دخل

القيروان سنة 141 هجرية /758 ميلادية [20]فنظم شؤونها وترك عليها شخصية من ابرز رجالات الاباضية من حملة العلم هو عبد الرحمن بن رستم، وفي هذه الأثناء علم أبو الخطاب وهو بالقيروان بعزم محمد بن الاشعت الحزامي عامل بني العباس على مصر في تسيير حملة إلى طرابلس بقيادة ابي الاحوص عمرو بن الاحوص ألعجلي وعاد أبو الخطاب على الفور الى طرابلس،وفي سنة 142 هجرية /759 ميلادية اقبل الجيش العباسي بقيادة أبي الاحوص فزحف إليه أبو الخطاب بجموع الاباضية من البربر والعرب والتقى الجيشان في مغمداس فانهزم أبو الاحوص وعاد بمن تبقى معه من الجيش إلى مصر [21] ولم يسكت أبو جعفر المنصور على هذه الهزيمة، ورأى في ضياع نفوذ بني العباس بالمغرب تهديداً مباشراً لمصر والشام فعزم على القضاء على دولة الاباضية، وإعادة بسط النفوذ العباسي على افريقية واخذ يعبئ كل طاقات الدولة، وامكاناتها لهذا الغرض، فولى افريقية محمد بن الاشعت الخز اعي عامله السابق على مصر، واعد جيشاً ضخماً عدته أربعون ألف مقاتل يقودهم عشرة من أعظم قواد دولته نخص بالذكر منهم (سالم التميمي، والحارث بن هلال والمخارق بن عفار الطائي)، وزحف هذا الجيش إلى برقه، وأمام هذا الخطر الذي يتهدد الإمامة الاباضية الفتية، خرج أبو الخطاب في جيش هائل عدته مائتي ألف مقاتل عسكر بهم في ارض سرت، وأمام هذه الكثرة الهائلة أحجم ابن الاشعت عن لقاء الاباضية، فتظاهر بالانسحاب إلى مصر، ثم دهم معسكر أبي الخطاب في تاورغا(تاجوراء الليبية) فجأة في سنة 144 هجرية /761 ميلادية، فانهزم الاباضية وقتل أبو الخطاب في جملة من خيار أصحابه بلغ عددهم اثنا عشر ألفا [22]لكن معظم المؤرخين يذكرون أن خلافاً كبيراً نشب بين جماعات الاباضية حيث تنازعت(قبيلتي زناته وهوارة) واتهمت زناته ابا الخطاب بالميل إلى هوارة وفارق بعضهم ارض المعركة يقول ابن عذارى (ثم إن زناته وهوارة تنازعت فيما بينها واتهمت زناته أبا الخطاب في ميله مع هوارة ففارقه جماعة منهم) [23]

وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى ضعف جبهة الاباضية رغم كثرة عددهم فالتقى ابن الاشعت بمن تبقى مع ابن الخطاب واقتتلوا قتالاً شديداً هزمت فيه الاباضية وانتهت بمقتل أبي الخطاب[24]. في هذه الأثناء كان عبد الرحمن بن رستم يتأهب لنجدة أبي الخطاب، فسمع وهو في طريقه إليه نبأ الهزيمة التي مني بها جيشه فأقر أن يترك المغرب الأدنى وشانه ويمضي إلى المغرب الأوسط حيث لا يصل نفوذ العباسيين وحيث يتركز جمهور الاباضية الذين انتصروا لأبي الخطاب وله، فيمكنه هناك أن يؤسس دولة اباضية على نسق دولة أبي الخطاب .[25]

عوامل نجاح الدعوة الأباضية:

يأتي في مقدمة العوامل التي ساعدت على السرعة في نجاح الدعوة أن دعاتهم كانوا من الازد،اذ حين عودتهم الى عمان وجدوا تأييداً لدعوتهم من قبائل الازد فيها، وهناك عامل يتمثل باعتناق بعض الأشخاص من (ال الجلندي) مبادئ الاباضية انعكس ايجابياً على سرعة نجاح الدعوة، كذلك ينبغي ان لا يغيب عنا عامل في غاية الأهمية وهو ان الولاة الذين تعاقبوا على حكم عمان منذ مطلع القرن الثاني الهجري كانوا من الازد، فأصبحت الفرصة للدعاة ان يبثوا أفكارهم بحرية ويسر، دون ان يمسهم الولاة باذى، خشية ونقمة أقاربهم من الازديين .

الحقيقة ان المتتبع لمنهج الدعوة الاباضية في البصرة والخط الذي سلكه دعاتها لبث افكارهم، يجد ان نشاط الدعوة لم يقتصر على عمان وحدها بل ان الدعاة (حملة العلم) بعد ان استوعبوا مبادئ الاباضية وتعاليمها ارسلوا الى حضرموت واليمن وشمال افريقيا، وكانوا في موسم الحج يرون المناسبة والفرصة الممتازة للقاء قيادات الدعوة وتبادل المعلومات فيما بينهم .

ولعل الظروف القاسية وسياسة العنف التي احاطت بالدعوة في البصرة خلال ولاية (يوسف بن عمر الثقفي) والى الخليفة الاموي (هشام بن عبد الملك) على العراق، هي التي املت على الاباضية برئاسة (ابي عبيدة بن ابي كريمة) ان تفكر في استراتيجيةجديدة للدعوة، وللخروج بها من حالة الحصار والرقابة الى حيز اوسع بعيد عن عيون السلطة واضطهادها كي تتمكن من ممارسة فعاليتها بحرية ونجاح، والانتقال بها من دور السرية والكتمان الى دور الجهر، تمهيداً لاعلان الامامة الاباضية .

وبالفعل فان اختيار اقطار (كحضرموت واليمن والمغرب) بالاضافة الى عمان جعل الدعوة الاباضية تشق طريقها وتنتشر افكارها بحرية ويسر، ومما ساعد على ذلك بعد هذه الاقاليم عن مركز الخلافة، ومرور الدولة الأموية بمآزق صعبة منذ خلافة (الوليد بن يزيد بن عبد الملك) إلى ان زال الحكم الأموي في دمشق، وتتمثل هذه المآزق بالفتن الداخلية، وقيام الثورة العباسية كل ذلك أملى على (ابي عبيدة ابن ابي كريمة)رئيس الدعوة في البصرة ان ينتهز الفرصة ويتعجل التنسيق مع رؤساء الدعوة الاباضية في الأقاليم المذكورة لإعلان الإمامة .

ثورات الاباضية في بلاد المغرب حتى قيام دولة بني رستم:

بعد ان امتد نفوذ الاباضية في ربوع بلاد المغرب الادنى وانتشر بين قبائله وخاصة نفوسة وهواره، يبدو ان الاباضية لم يكونوا قد تهيئوا بعد لمرحلة الظهور حتى بداية العقد الرابع من القرن الثاني الهجري (أي حتى قيام ثورة ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري سنة 140 هجري / 757 ميلادي)ولعل السبب في تأخير ثورات الاباضية يكمن في قرب مواطنهم من

القيروان مقر الامارة ومركز الجند العربي وكذلك قربها النسبي من عاصمة الخلافة الاموية وولاتها في مصر والمغرب في قمع الحركات المعادية امرا اكثر سهولة وخاصة الاباضية . في هذه الاثناء كان البربر في المغرب كله قد اصبحوا لايقيمون وزنا للخلافة الاموية، بل كانوا يتطلعون للقضاء على أي نفوذ لها، ويترقبون الفرص المواتية للاستقلال ببلادهم، فلم يمض شهر واحد على امارة عبد الرحمن بن حبيب حتى ثار عليه عروة بن الوليد الصدفي واستولى على تونس، كذلك ثار البربر في المناطق الجبلية (واستشرى داء البربر واعضل امر الخارجية ورؤوسها، فانتفضوا في اطراف البقاع، وتواثبوا على الامر بكل ما كان، داعين الى بدعتهم، وتولى اكبر ذلك يومئذ صنهاجه)[26] وفي طرابلس ثار عبد الجبار والحارث من هوارة وهم اباضيوا المذهب وذلك بسب قتل زعيمهم عبد الله بن مسعود التجيبي، فقتلوا عامل طرابلس بكر بن عيسى القيسي عندما خرج يدعوهم الى السل[27] . وكذلك ثار اسماعيل بن زياد الاباضي فيمن معه من بربر نفوسه، واستولى على قابس، وكان لابد لعبد الرحمن بن حبيب الذي تشبث بالامارة ان يعمل على هذه الثورات، فبدا بثابت الصنهاجي بباحة، وارسل اخاه الياس بن حبيب الفهري على راس ستمائة فارس لمهاجمة ابي عطاف الازدي، واوصاه ان يتظاهر بمتابعة السير الى تونس لقتال عروة بن الوليد الصدفي فيخدعهم بذلك، فيامنون عاديته، ثم ينقلب عليهم ويفاجئهم بالهجوم، ففعل الياس ما اوصاه اخوه، واغار على طيفاس وقتل من اهلها عددا عظيما ومن بينهم ابو عطاف نفسه وذلك في سنة 130 هجري / 747 ميلادي، ثم كتب الى عبد الرحمن يبشره بهذا النصر، فامره بالسير الى تونس، ومفاجاة عروة بن الوليد واصحابه قبل ان يتنبهوا له، ففعل ما امره به، ونجح في هزيمة عروة بن الوليد وقتله، واسترجع تونس واقام بها 28)، ثم توجه عبد الرحمن بعد ذلك نحو الحارث بن تليد الهواري وعبد الجبار بن قيس الهواري الثائرين بطرابلس، فزحف اليهما بجيش كثيف سنة 131 هـ/749م وتمكن من قتلهما بالخديعة وقضى بذلك على ثورتهما، وهناك اختلاف في المصادر حول التخلص من الحارث وعبد الجبار فهناك بعض المصادر تذكر بانه عندما لم يستطع عبد الرحمن بن حبيب من التغلب على خصميه بقوة السلاح لجأ الى الخديعة، فدس عليهما عصابة من اتباعه في طرابلس قتلوهما في دار الندوة، ثم ادخلوا على كل منهما سيفاً وجعلوا مقبضه الى جهة الاخر ليوهموا الناس بانهما تنازعا، فتقاتلا فقتل كل منهما الاخر واحدثت هذه الحادثة انقساماً بين الاباضية حول قضية القتيلين فانقسم الاباضية على انفسهم.[29] اما البرادي والشماخي فيذكرا ان حادثا مفاجئاً ادى الى مقتل الحارث وعبد الجبار سنة 131 هجري / 750ميلادي والحقيقة ان هذه المصادر تختلف ايضا حول دوافع هذا الحادث والراجح انهما أختلفا حول مسائل فقهية أو تنازعا حول الحكم[30] ، فاحتكما الى السيف فقتل كل

منهما صاحبه [31] والحقيقة ان تدخلات الاباضية في المشرق لم تجد نفعاً نصائحهم بالكف عن ذكر هذه المسألة فظلت تشغل الاباضية في المغرب حتى تولى ابو الخطاب الامامة .

أما الحركة الأخيرة فكانت من نصيب قبيلة نفوسة، اذ قام زعيمها اسماعيل بن زياد النفوسي "عندما عظم شأنه وكبر بيعة" [32] ، بالاستيلاء على قابس سنة 132 هجري / 751 ميلادي فخرج اليه عبد الرحمن بن حبيب وانفذ طلائعه الخيالة حيث التحم مع اباضية نفوسة، وقتل زعيمها واسر كثيراً من رجالها [33] واصطحب عبد الرحمن بن حبيب اسرى الاباضية الى طرابلس وذبحهم (وكان يؤتى بالاسير من البربر فيأمر من يتهمه بتحريم دمه بقتله) [34] كما عهد الى عامله بطرابلس بتوزيع المغانم التي غنمها من الاباضية على جنده وأعاد بناء سور المدينة لتحصينها من خطر الاباضية، ثم عاد الى القيروان في نفس العام، هذا ولقد كانت لهذه الحركات الثلاث حركة عبد الله بن مسعود التجيبي وحركة الحارث وعبد الجبار وحركة اسماعيل بن زياد وما قام به عبد الرحمن بن حبيب على القضاء عليها انفصل في تفتيت عضد الأباضية وتأخير ظهورها في بلاد المغرب .

ويظهر لنا ان لهذه الأسباب التي ذكرناها في القضاء على الاباضية وتفتيت شملهم قد أدى الى سفر زعماء الاباضية في المغرب الأدنى للرحيل الى البصرة والاسترشاد باراء وافكار وتعاليم زعماء الاباضية في بلاد المشرق وذلك للأعداد للثورة المنظمة وقد عادوا الى المغرب بعد مضي خمس سنوات بصحبة ابي عبيده مسلم بن ابي كريمة وشيوخ المذهب وقد ذكرنا سابقا ان ابا عبيده قد اشار عليهم باختيار احد رجال المذهب من عرب المشارق لزعامتهم لما له من دراية بأحوال المغرب ومعرفته بارض المغرب وفنون الحكم . وفعلا ما ان عاد (حملة العلم الى المغرب) سنة 140 هجرية/757 ميلادي حتى بادر أعضاؤه بالاتصال بالقبائل وتهيئتها للقيام بالثورة، ويذكر ابو زكريا أن أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وهو الذي أشار ابو عبيده بتقلده وزعامة الحركة أبدى نشاطاً ملحوظا (بالكتمان) فاتصل بمشايخ القبائل للتشاور في اعلان (امامة الظهور) وقد تكللت مساعيه بالنجاح فانضم اليه الكثير من الاباضية وكسب الكثير من الاتباع [35] واجمع رؤساء المذهب على مبايعته بالامامة وانضمت قبائل نفوسة وهوارة وزناته وغيرها الى ابي الخطاب (ذكرت المصادر ان رؤساء المذهب كانوا يجتمعون في مكان يقال له صياد غرب طرابلس بحجة اقتسام ارض أختلف القوم عليها أو للتأليف بين رجل اختلف مع زوجته مداراة لوالي طرابلس وتصور المصادر هذه ان ابا الخطاب فوجئ بعرض الامامة عليه لكنه كان في الواقع على علم بانه سيتقلدها منذ غادر البصرة مع الوفد المغربي وفقاً لمشورة ابي عبيده مسلم بن ابي كريمة [36] واستطاع ابو الخطاب بعد مبايعته مداهمة طرابلس على حين غفلة وارغم

عاملها عمرو بن عثمان القرشي على مغادرتها واستولى على بيت مالها وأمن أهلها، وباستيلاء الاباضية على طرابلس أشتد ساعدهم فاتخذوها قاعدة للمذهب وبعثوا الى ابي عبيده بالبصرة يعلموه (بظهور الامامة) فاغتبط لذلك ونصحهم بالتضامن واقتفاء الاثر الصالح وبدأ ابو الخطاب بالتوسع فاستولى على جزيرة جربة وجبل دمر سنة 140 هجري/757 ميلادي كما ضم قابس في نفس العام ودانت بلاد المغرب الادنى بطاعته وبدأ يتطلع للاستيلاء على افريقية، ثم صراعه مع الصفرية وهزيمته لهم عند رقاده ودخول المدينة بعد مقتل عبد الملك بن ابي الجعد مقدم الصفرية ونجاح عامله عليها عبد الرحمن بن رستم في بث نفوذ الاباضية في سائر جهات افريقية بعد مغادرة ابي الخطاب القيروان لمواجهة الخلافة التي بعثها المنصور لاستعادة افريقية[37] وكانت هذه القوات بزعامة ابن الاشعث الذي هاله امر الاباضية الذين سيطروا على المغرب الادنى وافريقية فاثر البقاء بمصر وبعث طلائعه بقيادة ابن الاحوص (عمرو بن الاحوص العجلي) الى المغرب وهذا كما ذكرنا ما حدا بابي الخطاب الى مغادرة القيروان على وجه السرعة للقاء ابي الاحوص فالتقى بهفي المغمداس بناحية سرت وهزمهم، واحتوى عسكره فعاد ابو الاموي الى مصر مهزوماً مدحوراً[38] وبعد هذه الهزيمة لقوات الخليفة بعث المنصور لابن الاشعث يطلب اليه التعجيل بالتوجه بنفسه الى المغرب [39] وبدا ابن الاشعث يجهز نفسه ويستعد استعداداً كاملا فحشد في جيشه في القواد العظام عشرة وقبل ثمانية وعشرين قائداً [40] واستعد ابو الخطاب للقاء ابن الاشعث لكن خلافاً دب في معسكر ابن الخطاب عندما رابط بارض سرت في سبعين الفاً من الاباضية حيث انسحب اباضية سرت لاعتقادهم بتحيزه الى هوارة وبادر ابن الأشعث بالنزول بجيشه على موارد الماء بمكان يقال له تاورغا، ومنع عسكر ابي الخطاب من النزول للماء فلما نشب القتال دارت الدائرة على الاباضية فقتل ابو الخطاب مع آلاف من رجاله ونجى منهم نفر قليل لاذوا بالحصون والقلاع في الجبال وبدأ ابن الأشعث ينظر الى التخلص من الأباضية، فأرسل قائده اسماعيل بن عكرمة الخز اعي زويله وودان فقتل من بها من الأباضية، كما لقي اباضية طرابلس معاملة سيئة جداً من عامله المخارق بن غفار الطائي حيث قتل الكثير منهم وسبى ذراريهم ولم يسلم اباضية زناته من بطش ابن الأشعث على الرغم من خروجهم على ابي الخطاب وعدم اشتراكهم في معركة تاورغا وعلى الرغم من هزيمة احد جيوش ابن الأشعث أمام الاباضية في زناتة فقد القى الرعب في قلوب اباضية المغرب الأدنى فهابوه ودانوا له بالطاعة [41] .

وهكذا وضعت معركة تاورغا سنة 141 هجرية/761 ميلادي نهاية (لامامة الظهور) التي استمرت أربعة أعوام سيطر الاباضية في هذه الفترة على افريقية والمغرب الادنى، فلم يقو الاباضية بعدها على الظهور واضطروا الى العمل بسرية وهو ما يعرف عند الاباضية باسم (امامة الدفاع) .

فقد تولى امامة الدفاع بعد مقتل ابي الخطاب يعقوب بن حبيب المعروف بابي حاتم الملزوزي سنة 145 هجرية/762 ميلادي ويختلف المؤرخون حول أصله، فيذكر بعضهم انه من هوارة، وقيل انه من سدراته ويقال أيضا بأنه من فعيله[42] وفي اعتقادي انه من هوارة لان هوارة كانت اشد قبائل الاباضية قوةواكثرها عدداً وعدة حيثشاركت في الكثير من ثورات وحركات الاباضية، أما سدراتة فقد كانت اقل أهمية وأقل دوراً فيثورات وحركات الاباضية في المغرب بينما فعيلة أو (مليله) وهي بطن من بطون هوارة[43] على كل حال بويع ابو حاتم بالامامة سنة 145 هجرية/762 ميلادية وبقي متستراً طيلة اربع سنوات قام خلالها بتجميع شمل الاباضية بعد ان تفرقت على اثر حروب ابن الأشعث، وكان في هذه المدة يرسل الصدقات الى عبد الرحمن بن رستم الذي كان يعد العدة لقيام دولة بني رستم الاباضية في المغرب الأوسط[44] ويبدو ان ابا حاتم قد رأى في نفسه قوة (فأراد الخروج على جند طرابلس وعامل ابي جعفر)[45] والظاهر ان عامل طرابلس قد تنبه لذلك فخرج اليه وطلب من الاباضية الاذعان لاوامره والدعوة للخليفة العباسي فرفضوا فاقتتلوا وكان النصر حليف الاباضية ودخلوا طرابلس والظاهر ان الاباضية امعنوا في البطش باهل طرابلس من العرب على غير عادتهم،وذلك انتقادا لما حل بهم من قبل، وبقي ابو حاتم مقيما في طرابلس حتى وصل عمرو بن حفص إلى إفريقية الذي وصل القيروان في سنة 151 هجري/678 ميلادي وأول ما عني به عمرو بن حفص هو تهدئة خواطر الجند، وتسكين الأهالي في القيروان فاجتمع فور وصوله بوجوه المدينة ووصلهم واحسن إليهم، فهدأت الأحوال ثلاث سنين، واستقامت أمور الدير في هذه الفترة[46] فاغتر المنصور لهذا الهدوء، فتطلع بنظره إلى امتلاك المغرب الأوسط، فامر واليه عمرو بن حفص بالتوجه إلى طبنة قاعدة إقليم الزاب وتحصينها حتى تكون مركزا لغاراته المقبلة على المغربين الأوسط والأقصى وفي بداية الأمر حاول عمرو بن حفص إن يسترجع طرابلس من الاباضية ولكن الاباضية هزموه في ثلاثة جيوش كان أولها بقيادة الجنيد بن بشار عامل عمر على طرابلس والثانية كانت بقيادة خالد بن يزيد المهلبي على رأس أربعمائة فارس عدا الرحالة لكن أبىحاتم هزمه أيضا وحال دون دخوله لطرابلس والجيش الثالث الذي بعثه عمر بن حفص كان هذه المرة بقيادة سليمان بن عبادة المهلبي فطاردته الاباضية فعاد أدراجه إلى حيث أتى ونتج عن انتصار البربر (الاباضية) في إفريقية إن اجتمعت البربر من كل فج واحتشدت جموعهم من كل ناحية لمهاجمة عمرو بن حفص في طبنة ويجمع المؤرخون العرب على انه تجمع للبربر اثني عشر عسكرا توجهوا جميعا نحو الزاب، منهم ابو قرة الصفري الذي قدم في أربعين آلف مقاتل، وابو حاتم في جيش كبير، وعبد الملك بن سكردير في ألفين، والمسور بن هانئ الزناتي في عشرة آلاف[47].

في حين كان جيش عمرو بن حفص لا يتعدى الخمسة عشر آلفا وخمسمائة فتحصن داخل أسوار المدينة وكان لاشتراك الاباضية والصفرية في هذا الحصار ضد قوات الخلافة العباسية بقيادة عمرو بن حفص إذ بدا يعمل عمرو بن حفص بنصيحة رجاله الذين نصحوه بأنه لا بد من الحيل والدهاء للتخلص من هذا الحصار الكبير الذي طال آمره، فراسل أبا قرة وعرض عليه ستين ألف درهم وكسي كثيرة بشرط أن ينصرف برجاله ويقال بأن أبا قرة رفض في البداية بقوله (بعد أن سلم على بالخلافة أربعين سنة أبيع بكم بعرض قليل من الدنيا) ولم يجبهم إلى ذلك[48] وقيل بأنه أوعز إلى رسله بمحاولة الحيلة هذه المرة مع شقيق أبي قرة فدفع إلية أربعة آلاف درهم وبعض الثياب بشرط أن يصرف أخاه والصفرية الى بلادهم ففعل[49] وأما عبد الرحمن بن رستم ففر إلى تاهرت بعد أن لحق به عمرو بن حفص وهزمه وأما المسور بن هانئ فالراجح أنه لحق بأبي حاتم وحاصرا معاً مدينة القيروان وبقي حصارهم على القيروان مدة ثمانية شهور حتى نفذ الطعام من أهرائها وأكل الناس دوابهم وكلابهم، وجهدهم الجوع، وجاءت الأخبار بوصول عمرو بن حفص من طبنة في سبعمائة فارس ففك أبو حاتم الحصار عن المدينة وأتجه إلى الأربس حيث نزل عمرو فغادر عمرو الأربس إلى تونس فتبعه الاباضية ثم عاد الى القيروان وأدخل إليها الطعام فحاصره أبو حاتم من جديد بجيش مقداره مائة وخمسون آلفا[50] من المقاتلين وقيل مائة وثلاثون[51] وكان عمرو بن حفص يخرج لمنازلتهم كل يوم ثم يعود الى المدينة، فلما طال الحصار على أهل القيروان وقلت لديهم الأقوات وانعدمت المؤن، وضاق أمرهم (أكلوا دوابهم وكلابهم وسنانيرهم وانتهى الملح عندهم أوقية بدرهم)[52]

ثم بلغه أن المنصور الخليفة العباسي قد سير إليه يزيد بن حاتم على رأس جيش قوامه ستين ألف مقاتل لنصرة أهل القيروان، فعز على عمرو بن حفص أن تكون نجاة القيروان على يد قائد آخر، فقال(لا خير في الحياة بعد هذا أن يقال : يزيد أخرجه من الحصار، إنما هي رقدة وأبعث إلى الحساب)[53] وخرج يقاتل البربر ويطعن فيهم حتى قتل في سنة 154 هجري/771 ميلادي فخلفة على قيادة الجيش العباسي أخوه جميل بن حفص[54] وقيل حميد بن صخر أخو عمرو لأمه[55] ولما طال الحصار على العباسيين دون أن تصل إليهم قوات يزيد بن حاتم، وساءت أحوال المسلمين بداخل القيروان أضطر جميل بن حفص إلى مصالحة أبي حاتم بشرط أن يظل العباسيون في القيروان موالين للخليفة العباسي المنصور لا ينازعهم أبو حاتم في سوادهم وسلاحهم، فرفض أبو حاتم هذا الشرط،

ثم هاجم القيروان واحرق أبوابها وهدم سورها[56] ودخلها ثم أخرج من بقي فيها من جنود العباسيين وأنزلهم طبنة وأستخلف عليها عاملا من قبله هو عبد العزيز بن السمح المعا فري[57] ثم إتجه بعد ذلك الى طرابلس حيث علم بمقدم يزيد بن حاتم على رأس جيش من الشرق وانضمام جميل بن حفص والجند العباسيون الى قوات يزيد في سرت، ثم وثوب المقيمين في القيروان من العرب على عامله هناك حيث قتلوا عسكرة واسترجعوا المدينة وولوا عليهم عمر بن عثمان وما أن سمع أبو حاتم بهذه الأخبار حتى عاد إلى القيروان فهرب عمر بن عثمان إلى تونس وأنضم جميل بن حفص وجنوده الى قوات يزيد كما ذكرنا . ثم خرج أبو حاتم من القيروان لملاقاة يزيد بن حاتم وأنضم اليه قائد عربي من أعقاب عقبة بن نافع هو عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهري[58] وآثر أبو حاتم أمام كثرة أعدائه أن يلاقيهم في منطقة جبلية يسهل عليه أن يتغلب فيها عليهم، فاختار لهذا الغرض جبل نفوسة لكثرة من فيه من التابعين له ولحركته، فسير يزيد بن حاتم طائفة من عسكرة الى قابس، فاشتبك معهم أبو حاتم ورجاله في معركة دامية انتهت بهزيمة العباسيين وعاد بقية الطائفة التي انهزمت الى يزيد بن حاتم[59] ورأى يزيد أنه أمام خصم شديد وعنيد فعزم على السير بنفسه لملاقاته ومقاتلته، ولما علم أبو حاتم بقدومه إليه تحصن في مكان وعر، وخندق على عسكرة ثم التقى الجيشان في ربيع الأول سنة 155هجري /772 ميلادي وأشتد القتال بينهما واستمات أبو حاتم في مدافعة العباسيين حتى قتل هو وأهل نجدته[60] وطارد يزيد فلول جيشه في السهول والجبال وقتل منهم ما يقرب من ثلاثين ألفا وثأر يزيد لعمه عمر (فطلب الاباضية في كل سهل وجبل)[61] وظل العباسيون يقتلون الاباضية في جبل نفوسة شهراً حتى سحقوهم، ثم أستخلف يزيد بن حاتم على طرابلس سعيد بن شداد ومضى بجيشه الى القيروان، فدخلها في 20 جمادي الآخرة سنة 155 هجري/772 ميلادي[62] .

أما عبد الرحمن بن حبيب حفيد عبد الرحمن بن حبيب الفهري الثائر على حنظلة بن صفوان والذي ذكرنا أنه كان قد أنضم الى جيش أبي حاتم الاباضي واشترك في معركة جبل نفوسه فقد فر الى جبال كتامة الواقعة شمال فسنطينة واعتصم بقلعة صحاب، فبعث اليه يزيد بن حاتم المخارق بن غفار الطائي والي طبنة لمحاصرته، فلم يستطع عليه فوجه يزيد مددا الى المخارق بقيادة العلاء بن سعيد المهلبي سنة 156 هجري/ 773[63] ميلادي ونجح القائدان في التغلب عليه، ففر عبد الرحمن بن حبيب عن القلعة وعبر البحر الى الأندلس[64] .

لقد كانت هذه الضربة التي أنزلها يزيد بن حاتم بالاباضية نهاية نشاطهم في صورتها المنظمة، الحقيقة أن حركاتهم تنته بشكل معروف خاصة في عهد يزيد بن حاتم لكنها افتقرت الى

التنظيم والشمول، حتى أن آل المهلب لم يجدوا صعوبة في القضاء عليها . كذلك كانت ثورة هوارة بزعامة آبي يحيى بن قوناس سنة 156 هجري/773 ميلادي بنواحي طرابلس قد انتهت بكارثة على الاباضية على يد عبد الله السمط الكندي الذي قتل أبا يحيى وعامة أصحابه . هذا وطيلة عهد يزيد بن حاتم لم نسمع عن أي نشاط للاباضية الذي امتد حتى سنة 170 هـ/787م في منطقة القيروان وطرابلس حتى أن أبن عذاري يذكر في كتابه البيان المغرب (تهدنت أفريقية ليزيد بن حاتم)[65] هذا وإذا كان بالإمكان القول بان يزيد قد قضى على ثورات الاباضية فان خليفة داوود بن حاتم تمكن من حصر شوكتهم .

تأسيس الدولة الأباضية (الرستمية)

ما ان استطاع عبد الرحمن بن رستم من تأسيس دولة اباضية مستقلة في تاهرت(161-171هـ/777-787م) حتى بدأ اباضية الشرق يدعمون اخوانهم في المغرب مادياً وروحياً فارسلوا اليهم الاموال وافتوهم في مشاكلهم السياسية والمذهبية، وتدخلوا لتسوية خلافاتهم بابداء النصائح وارسال البعثات، كما حرص زعماء اباضية المغرب على الاستناره بخبرة شيوخهم المشارقة في السياسة والحكم والاستزاده من تجربتهم في العلم وتفقههم في المذهب، فدأبوا على ايفاد رسلهم وبعثاتهم للدراسة على يد مشايخ البصرة وجنوب الجزيزة في عمان وحضرموت، وحكموهم فيما عني لهم من مشاكل وخلافات، واستمدوا منهم الكتب والتأليف وخاصة فيما يتعلق منها بألمذهب الاباضي،وبديهي ان تتوطد هذه الصلات بقيام دولة بني رستم وحسبنا ان مؤسسها عبد الرحمن بن رستم تتلمذ على يد ابي عبيده مسلم بن ابي كريمة في البصرة،ونجاحه في تأسيس دولة اباضية بالمغرب اعتبر نصرا لأباضية المشرق،فقد نظروا اليه بأعتباره امام الظهور لسائر اتباع المذهب في كافة ارجاء العالم الإسلامي،حتى صارت الاباضية تقصد الى رحاب هذه الدولة من جنوب الجزيرة العربية والعراق وفارس حيث يطاردهم ارهاب العباسيين،اما الذين لم يستطيعوا الرحيل الى اراضي الدولة الجديدة فقد جمعوا اموالا كثيرة خرجت من البصرة مركز الدعوة الاباضية في الشرق مع نفر من علماء الأباضية وثقاتها وقال لهم اخوانهم من اهل الدعوة في البصرة(قد ظهر بالمغرب امام ملأه عدلا فانهضوا اليه بما معكم من هذه الاموال حتى تردوا المدينة التي سكنها فان كان علىما نقل من حسن طريقته وصحة سيرته فادفعوا اليه وان كان على غير ذلك فانظروا الى افعاله وما يتولاه من الاحكام بين رعيته ثم اتونا بذلك كله)[66] مضى الوفد الى ان وصلوا تاهرت، ونزلوا المصلى، فاناخوا جمالهم ودخلوها من باب الصفا، ودلهم الناس على دار الامام عبد الرحمن بن رستم (فوجدوا عند بابها غلاما يعجن الطين فيناوله رجلا على سطح الدار يصلح شقوقا فيه، فسلموا على الغلام فرد السلام، فقالوا : اهذه دار الامام ؟ تعجبا من بساطتها وظنا ان لا تكون هي دار الامام، اذ كانوا يتوهمون ان يجدوا داره قصرا

منيفا، فقال الغلام نعم فقالوا له : استاذن لنا منه واعلمه انا رسل اخوانه اليه من البصره، فرفع الغلام راسه الى سيده وقد علم انه سمع كلامهم، فقال : قل للقوم يصبرون قليلا ثم اقبل على ما كان من اصلاح السطح، حتى انقضى والقوم ينظرون اليه وهم شاكون فيه هل هو صاحبهم ام لا ؟ فنزل من سطحه الى داره فغسل ما كان بيده من اثار الطين ثم تؤضأ وضوء الصلاة فأذن للقوم فدخلوا عليه، فوجدوا رجلا جالسا على حصير فوقه جلد وليس في بيته سوى وسادته وسدته التي ينام عليها وسيفه ورمحه وفرس مربوط في ناحيه من داره، فسلموا عليه واعلموه انهم رسل اخوانه اليه فامر غلامه باحضار طعامه فأتاه بمائدته عليها قرص ساخن وسمن وشيء من ملح، فامر بذلك القرص فهشمه، وامر بالسمن فلت به، قال على اسم الله ادنوا وكلوا فاكل معهم فلما انقضى طعامهم جدد الترحيب بهم، فسألهم ما مرادكم وما جاء بكم، فقالوا له : نريد ان تاذن لنا فنخلوا بانفسنا، ثم نكلمك بعد ذلك، فقال : افعلوا فنهض لتواضعه فاخلى لهم المجلس، فجلسوا نجيا، فقال بعضهم لبعض، يكفينا من السؤال عنه ما راينا منه من اصلاحه لداره بنفسه، ومطعمه وملبسه وحلية بيته، فما نرى الا ان ندفع اليه المال ولا نشاور احدا فيه، وكان الذي معهم من المال ثلاثة احمال، ست غرائر، فاجمع رايهم على حمل المال اليه، فرجعوا اليه)[67] ثم ابلغوه بامر مساعدة اباضية المشرق له في تمكين دولته بهذا المال، فعزم عبد الرحمن بن رستم على عقد مجلس الشورى من وجوه القبائل في المسجد الجامع فلما اجتمع اعضاء المجلس قرروا قبول هذه المساعدة لحاجة الامامه الفتيه الى ما من شانه ان يقوي دعائمها، على ان يقسم ثلث المال للكراع وثلثه للسلاح وثلثه للضعفاء والفقراء . فشرع الامام في شراء الكراع والسلاح، وتحسنت احوال الناس،وانسوا من انفسهم قدرة على توسيع نطاق العمران فشرعوا في اجراء الانهر واتخاذ الارحاء والمستغلات، ولم يمض ثلاث سنوات على هذه المعونة المشرقية حتى عاد وفد اباضية البصرة يحملون عشرة احمال من الذهب لاعانة الامامة من جديد حتى تتقوى، وتتمكن بذلك من الوقوف امام مطامع العباسيين، ولكنهم شاهدوا مدينة تاهرت قد تبدلت وتحسنت أحوالها، فلما قابلوا عبد الرحمن بن رستم جمع مجلس الشورى كالمرة السابقة لاستشارة اصحابه، فتركوا له أمر التصرف في هذه الأموال، فأمر عبد الرحمن أعضاء الوفد البصري بارجاع هذه الأموال الى أصحابها ليستعينوا بها في جهادهم مع العباسيين فهم أولى من الرستميين بذلك بعد إن أثرت الدولة الرستمية وقويت دعائمها وعبثاً حاول البصريون إقناع الإمام قبوله لها، واصر على رايه بالرفض[68] .

وقال : (ارجعوا بما لكم فان ارباب احوج اليه منا لانه في ارض قد استولى عليها العدل وهم في بلد غلب عليه الجور يدارون به على انفسهم ومالهم ودينهم)[69] إن هذا العمل الذي قام به عبد الرحمن بن رستم لدليل على انه كان يطمح الى تحرير الجماعه الاباضيه في المشرق

من الحكم العباسي والى انتشار المذهب الاباضي في كل دولة الخلافة وهذا ما يشير اليه كتاب ومؤرخوا الاباضية في قولهم (واعترف كل اباضي بامامته ووصلوه بكتبهم ووصاياهم[70] بل ان ابن الصغير يذكر ان اباضية المشرق قد اعتبروا إن إمامة عبد الرحمن بن رستم اصبحت فرضاً عليهم منذ رد الاموال اليهم ليتقووا بها وفي ذلك يقول (فعند ذلك رغب القوم في إمامته ورأوا إنها فرص عليهم)[71] لكن جماعة المذهب في الشرق جزعوا من الاضطرابات والانشقاقات التي حدثت في الدولة الرستمية في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن(171-190هـ/787-805م) وخاصة ما مسّ الجانب المذهبي منها، كانشقاقات النكار والخلفية(وهم جماعة من دعاة الاصلاح عند بني رستم الاباضيين طالبوا ان يحكم الامام المنتخب باشراف مجلس دائم غير ان فكرتهم رفضت من الفقهاء الاباضية في المشرق فانفصلوا عن بقية جماعتهم وشكلوا هذه الفرقة) وما انتهت اليه من افتراقات الاباضية في المغرب، وجدير بالتنويه ان المتخاصمين كانوا يحتكمون في خلافاتهم الى مشايخ المذهب في الشرق، فقد هادن يزيد بن فندين زعيم النكار الامام عبد الوهاب ريثما ترد فتوى المشارقة حول الامامة المشروطة وسياسة الامام في تنصيب عماله .[72] كما احتكم الامام عبد الوهاب وخلف بن السمح ايضاً الى علماء وفقهاء المشارقه في مسألتين هما تعدد الأئمة وحق الرعية في اختيار عمالها [73] ولم يتوان اعلام المذهب وفقهاؤه من البت في تلك المسائل أو القضايا، وعلى الرغم مما تصوره المصادر الاباضية من ان فتاوي المشارقه كانت في صالح الامام عبد الوهاب الا ان ما يشير الى استيائهم من سياسة عبد الوهاب وانتهاكه تعاليم المذهب وخروجه على أحكامه لكن حرصهم على تحاشي الشقاق ودأب الخلاف افضى بهم الى تهدئة الخواطر باسداء النصح لاطراف الصراع جميعا.[74] لقد كان حرص رؤساء التنظيم الام في البصرة وعمان على استمرار الامامة في تاهرت ودعمها شغلهم الشاغل، فقد أفتوا بجواز تقاعد الامام عن الحج حرصا على سلامته، كما كلفوا انفسهم مشقة نسخ آلاف التآليف والتصانيف لتزويد المكتبة (المعصومة) في تاهرت بها[75] ولا غرو فقد وجدت هذه اقبالا لدى اباضية المغرب، فاقبلوا على دراستها وتصدوا للانحرافات المذهبية وخروج الائمة في سياساتهم عن تعاليم المذهب على هدي ما ورد فيها.[76]

كما حرص المشارقة على انفاذ بعوثاتهم لتفقد احوال الدولة الرستمية والتدريس في مساجدها والافتاء في مشاكلها وقضاياها وكذلك كانت المتاجر والسلع الشرقية ترد الى تاهرت عن طريق اباضية البصرة وعمان ولكن نفور اعلام المذهب في الشرق واستيائهم من خروج الامام عبد الوهاب على تعاليم المذهب تطور الى رفض وانكار لامامة خلفائه، حيث تحولت الامامة الى

ملك وراثي وضاعت هيبتها، فكان ذلك كافياً لعزوف اباضية المشرق عن مناصرة الدولة الرستمية في اواخر عهدها والاتصال بحكامها [77].

وختاماً فقد تناولت هذه الدراسة في ضوء اعتبارين أساسيين أحدهما متعلق بالتطور السياسي الذي حدث للخوارج بشكل عام الأباضية بشكل خاص في بلاد المشرق الإسلامي والانتقال إلى مرحلة الدعوة والتنظيم السري في أطراف العالم الإسلامي بعد فشل ثوراتهم وملاحقتهم في قلب الدولة الإسلامية ، أما الاعتبار الثاني فيكمن في ملائمة ظروف بلاد المغرب السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والدينية لتقبل المذهب الأباضي وانتشاره بين البربر ،فقد كان الفكر السياسي للاباضية في صورته المتطورة أواخر القرن الأول الهجري متسقا مع ظروف بلاد المغرب وأمال البربر وأهدافهم، وقد أمكن الوقوف على طبيعة التنظيم السياسي لأباظية المشرق ونظامه وقياداته ودعاته وأساليب الدعوة والبلاد التي توجه الدعاة إليها، كما حددنا توقيت نزول الخوارج الأباضية والصفرية إلى بلاد المغرب وتوضيح جهودهم في نشر المذهب بين البربر مع ذكر أسباب التنافر بين الفريقين وعدم تعاونهما مع بعضهما البعض.

Abadeyah Roots in Moors Countries

Adnan Ayyash, *History Dept ., Al-Qudus Open University,Palestine*

Abstract

The connection appearance of the Renegades (Apostates) in the moors countries was related to the political development, which happined to them in the Islamic Orient at the end of the Mohammadan first century and after the failure of their revolutins in the heart of Isalmic World. The Renegads followed the propagnd's way and politic oraganizing in the Islamic neuty growth states (counties) .

The Renegades had been found a fertiled field in order to spread their creed or faith. In fact, the Renegades particularly the Abadeyahs went to the moors countries, in the subsequents of the Islamic conquest to the moors countries and on their desier to gain a new field in order to spread their beliefs, which they are opposed the Abbasian and Omaweh rule system.

The Abadeyah was appeared between the Berbrs and created a very great success between them (the Berbers) due to their suffering from the Abbasis and Omaweh rulers (governers) oppression in the moors states. So on the mentioned foundation or basic principles, I can say that the Abadeyehs people are the real introductions or initiations

for the political construtinthe heart of moors countries. In the year of (The Mohammadan 160/777m). The Abadeyahs were be able to be transferred from the stage of their propaganda into the stage of practical work on their principles.

قدم البحث للنشر في 2007/1/15 وقبل في 2007/5/16

الهوامش

(1) الشهرستاني، ابو الفتح، محمد بن عبد الكريم، ت548هـ/1138م **الملل والنحل**، تخريج محمد بدران ط2، القاهرة،1387هـ/1967م، ص 128.

(2) السيابي، سالم بن حمود (ولد سنة1327هـ/1906م)، **إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء**، تحقيق سيدة اسماعيل كاشف، القاهرة، 1979، ص61،60.

(3) معمر، علي بن يحيى(ت صفر1400هـ/1906م)، **الاباضية في موكب التاريخ**، ج1، القاهرة، 1964، نشر جمعية التراث، مسقط،1985، ص 13.

(4) السيابي، سالم بن حمود(ت صفر1400هـ/1906م)، أصدق **المناهج في تمييز الاباضية عن الخوارج**، تحقيق سيدة اسماعيل كاشف، القاهرة،1979، ص 2.

(5) نفس المصدر ص 32،.

(6) نفس المصدر

(7) السيابي، ص 33 – 48.

(8) الباروني، ابو الربيع سليمان(ت1359هـ/1940م)، **مختصر تاريخ الاباضية**، ط2، نشر مكتبة الاستقامة تونس 1968 ص 35.

(9) الشماخي، ابو العباس احمد بن سعيد،(ت 928هـ/1523م) **كتاب السير (سير علماء ومشايخ علماء جبل نفوسه)** طبع حجر، الجزائر،لا تاريخ، ص 124.

(10) سالم، السيد عبد العزيز. **تاريخ المغرب والاندلس**، ط2،مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية.1982،ص 447.

(11) الشماخي، مصدر سابق، ص 124.

(12) دبوز، محمد علي، **تاريخ المغرب الكبير**، دار احياء الكتب العربية، ط1،ج3، القاهرة 1963 ص 199.

(13) الشماخي، مصدر سابق، ص 114.

(14) نفس المصدر ص 124.

(15) أرنولد، توماس، **الدعوة الى الاسلام**، ترجمة حسن ابراهيم حسن،ط2، القاهرة، 1957، ص 351.

(16) دبوز، مصدر سابق، ص 135 – 209.

(17) الباروني، ابو الربيع سليمان، مصدر سابق، ص33.

(18) نفس المصدر السابق ص 35 وكذلك الباروني النفوسي، سليمان بن عبد الله (ت1350هـ/1931م)، الازهار الرياضية،1907 ص 84.

(19) الباروني، ابو الربيع، مصدر سابق ص 33، وكذلك ابن عذارى محمد بن عذارى المراكشي،البيان المعرب في أخبار الاندلس والمغرب، حتى نهاية القرن السابع الهجري(ت680هـ/1282م) ،ج1، بيروت،1950، ص81.

(20) ابن الاثير، علي بن احمد بن ابي الكرم،(ت 630هـ/1234م)، **الكامل في التاريخ**، ج5، دار صادر بيروت 1965، ص316.

(21) نفس المصدر ويذكر ان عدد قوات ابي الخطاب كانت ستة آلاف من الاباضية قاتل بها الصفرية وانتصر عليهم.

(22) ابن عذارى، محمد بن عذارى المراكشي، **البيان المعرب في أخبار الاندلس والمغرب**، حتى نهاية القرن السابع الهجري، ج1، بيروت،1950،ص 71 وكذلك ابن الاثير مصدر سابق، ج5، ص317.

(23) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1406م) **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، المقدمة، ج4، بولاق، القاهرة، 1957، ص411.

(24) ابن عذارى، مصدر سابق، ص72 وكذلك ابن الاثير مصدر سابق، ص 317

(25) ابن الاثير، مصدر سابق، ص 317.

(26) الشماخي ص 161.

(27) ابن الاثير، مصدر سابق، ج4، ص279 وايضاً ابن خلدون، مصدر سابق، ج9، ص 223.

(28) نفس المصدر، وكذلك ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص66 وايضا ابن خلدون، مصدر سابق، ص 223.

(29) ابن الاثير، مصدر سابق، ص 279.

(30) سالم، السيد عبد العزيز، المغرب العربي الكبير، ص 240.

(31) اختلف المؤرخون حول الكيفية التي قتل فيها الاثنين وكذلك اختلفالمؤرخون حول كيفية اشتراك الحارث وعبد الجبار في الحكم . فذكر البرادي (انهما كانا مشتركين في الحكم) بينما يرى الشماخي " أن احدهما كان اماماً للصلاة والاخر وزيراً " بينما ابن حكم يرى أن " عبد الجبار كان اماماً للصلاة والحارث اماماً للحرب" انظر البرادي، ابوالقاسم بن ابراهيم (ت 697 هـ) الجواهر المنتقاه في اتمام ما أخل به كتاب الطبقات، القاهرة، 1884، ورقة 870.

(32) اختلف الاباضية في تحديد أيهما أخطأ في حق صاحبه، ولم يلبث الخلاف أن كشف الى مسائل فقهية وفلسفية جوهرها (هل يدفع الشك باليقين) أو (يدفع اليقين بالشك) فتحول الخلاف الفقهي الى انشقاق سياسي . راجع البرادي، ورقة 87 وايضا الشماخي، ص 125.

(33) ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257 هـ/871م) **فتوح مصر والمغرب** تحقيق عبد المنعم عامر، ط1، القاهرة 1961، ص 302.

(34) نفس المصدر السابق وكذلك إطفيش، محمد بن يوسف(ت، الامكان في اجاز ان يكون او كان، الجزائر، ص 35.

(35) الرقيق، ابراهيم بن القاسم القيرواني (ت 417هـ/1063م) **تاريخ افريقية والمغرب**، تحقيق المنجي الكعبي، تونس 1968، ص 128.

(36) ابو زكريا، مصدر سابق، ورقة 6 .

(37) نفس المصدر ورقة 7.

(38) ابن عذارى، ج1، ص 82 وكذلك الانصاري، احمد النائب، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**،ج1،بيروت،لا تاريخ، ص 65 .

(39) الشماخي، ص 130.

(40) ابن الاثير، ج5، ص118.

(41) ابن عذارى، ج1، ص 85.

(42) ابن الاثير، ج5، ص 118.

(43) ابن خلدون ج6، ص 125.

(44) البرادي، ابو القاسم بن ابراهيم (ت 697هـ/1291م) **الجواهر المنتقاه**، القاهرة ط حجرية، 1884، ورقة 88.

(45) ابو زكريا، يحيى بن ابي بكر (ت358هـ/1012م) **السيرة واخبار الامة**، تحقيق اسماعيل العربي،دار الغرب الاسلامي،بيروت،1982.

(46) نفس المصدر السابق.

(47) ابن الاثير، ج5، ص31وكذلك ابن عذارى، ج1، ص 88.

(48) نفس المصدر السابق 32 وكذلك ابن عذارى نفس الصفحة السابقة.

(49) ابن عذارى، ص 89.

(50) ابن عذارى، ج1، ص89 وكذلك ابن خلدون، ج6، ص 103.

(51) سالم، سيدعبد العزيز، مصدر سابق، ص 268 وايضاً ابن عذارى ج1، ص90.

(52) ابن عذارى، ص91.

(53) الرقيق، ص 145 وكذلك ابن عذارى ص 91.

(54) ابن خياط ج2 ، ص 464 – 465 وايضا الرفيق ص 146.

(55) ابن الاثير، ج5، ص 32 ن ابن خلدون، ج4، ص413.

(56) ابن الاثير، ج5، ص32 وكذلك ابن خلدون، ج4، ص414.

(57) ابن عذارى، ص94 وكذلك ابن الاثير، ص33 ثم ابن خلدون ص 414.

(58) ابن عذارى، ج1، ص 94.

(59) ابن الاثير ج5، ص 33، الشماخي ص 137.

(60) الرقيق، ص 159 وكذلك ابن عذارى، ص 194، طبعة بيروت.

(61) ابن عذارى، ج1، ص94، طبعة ليدن.

(62) نفس المصدر السابق.

(63) ابن الاثير، ج5، ص60.

(64) ابن عذارى، ج1، ص94، الرفيق، ص148، ابن الاثير احداث سنة 151، ج5، ص61.

(65) ابن خلدون، ص 417 وايضاً السيلاوي، احمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى**، ج1، مصر، 1312 هـ،ص 120.

(66) سالم، السيد عبد العزيز، **المغرب العربي الكبير**، ص 452.

(67) ابـو زكريـا، يحيـى بـن ابـي بكـر (ت358هـ/1012م) **السـيرة واخبـار الامـة**، تحقيـق اسماعيل العربي،دار الغرب الاسلامي،بيروت،1982وكذلك الدرجيني، ابو العباس احمد (ت منتصف القرن السابع الهجري) طبقات الاباضية، ج1، ج2.

(68) ابـن الـصغير، المـالكي، **سـيرة الائمـة الرسـتميين فـي تـاهرت(ت294هـ/907م)**، تحقيـق مونكلسكي، ط2، باريس، 1958، ص10.

(69) نفس المصدر،ص 10 وكذلك الباروني النفوسي، مصدر سابق، ص 85 وما يليها.

(70) البـاروني، النفوسـي، مـصدر سـابق، ص 90، 91 وكـذلك البـاروني، ابـو الربيـع سـليمان، مصدر سابق،، ص 38.

(71) الشماخي، مصدر سابق، ص 141.

(72) ابن الصغير المالكي، ص13، وكذلك الباروني، النفوسي، ص 92.

(73) نفس المصدر، ص 14.

(74) الشماخي، مصدر سابق، ص 146.

(75) نفس المصدر السابق، ص 181.

(76) الباروني، النفوسي، ج2، ص 94.

(77) الشماخي، مصدر سابق، ص 161.

المصادر والمراجع

ابن الاثير، علي بن احمد بن ابي الكرم: **الكامل في التاريخ**، بيروت، دار صادر، 1965.

ابن خلدون، عبدالرحمن: **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، المقدمة، القاهرة، (د.ن)، 1957.

ابن عبدالحكم، عبدالرحمن بن عبدالله: **فتوح مصر والمغرب**، تحقيق عبدالمنعم عامر، القاهرة، (د.ن)، 1961.

ابن عذاري، محمد بن عذاري المراكشي: **البيان المعرب في اخبار الاندلس والمغرب حتى نهاية القرن السابع الهجري**، بيروت، (د.ن)، 1950.

أبو زكريا، يحيى بن ابي بكر: **السيرة واخبار الأمة**، تحقيق اسماعيل العربي، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1982.

ارنولد، توماس: **الدعوة إلى الاسلام**، ترجمة حسن ابراهيم حسن، القاهرة، (د.ن)، 1958.

الانصاري، احمد النائب: **المنهل العذب في تاريخ طرابلس والمغرب**، بيروت، (د.ن، د، ت).

الباروني، أبو الربيع سليمان: **مختصر تاريخ الاباضية**، تونس، مكتبة الاستقامة، 1968.

البرادي، أبو القاسم بن ابراهيم: **الجواهر المنتقاه**، القاهرة، حجرية، 1884.

دبوز، محمد علي: **تاريخ المغرب الكبير**، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، 1963.

الدرجيني، أبو العباس احمد: **طبقات الاباضية**، (د.م، د.ن)، (د.ت)، ج1، ج2.

الرقيق، ابراهيم بن القاسم القيرواني: **تاريخ افريقية والمغرب**، تحقيق المنجي الكعبي، تونس، (د.ن)، 1968.

سالم، السيد عبدالعزيز: **تاريخ المغرب والاندلس**، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعية، 1982.

السيابي، سالم بن حمود: **ازالة الوعثاء عن أتباع ابي الشعثاء**، تحقيق سيدة اسماعيل كاشف، القاهرة، (د.ن).

السيابي، سالم بن حمود: **اصدق المناهج في تمييز الاباضية عن الخوارج**، تحقيق سيدة اسماعيل كاشف، القاهرة، (د.ن)، 1979.

السيلاوي، احمد بن خالد الناصري: **الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى**، القاهرة (د.ن)، ج1، 1312هـ.

الشماخي، أبو العباس: **كتاب السير (سير علماء ومشايخ علماء جبل نفوسه)**، الجزائر، طبع حجر، (د.ت).

الشهرستاني، ابو الفتح، ومحمد عبدالكريم: **الملل والنحل**، تخريج محمد بدران، القاهرة، (د.ن)، 1967.

معمر، علي بن يحيى: **الاباضية في موكب التاريخ**، مسقط، جمعية التراث، 1985.